في الاجتماع

# الجمال والمجتمع

الجمال كلمة ولكنها في الأذن نغمة ، لها رنينها في القلب والنفس . ثم بالسامع فلا تتلاشى ، بل يكون لها حفلها من عنايته ، فإن كان ذا صبوة ونزعة ، كان التصوير فالذكرى ، فاللذة والألم

خلق الله الإنسان ورمى به في مجاهل هذا الكون ، وظلماته ، وقد أراد سبحانه ألا يحرمه نصيبا من رحمته وإحسانه ، فملأ له السماء بالنجوم ، وزين له الأرض بحضرة ناضرة وماء سلسال يترقرق على وجهها ترقرق تباشير الصباح على وجه السماء ، حتى يجتلي في الطبيعة ومنظرها البديع ما يستريح إليه ويأنس به في هذا العالم الموحش المخيف . فلم تزل الطبيعة تلهمه ، ويجلوها حتى إليه بالاندفاع وراء البحث والاستطلاع حتى وصل اليوم إلى ما وصل إليه ، من فن بديع ، وتعبير صادق عما في نفسه من أدق المعاني ، وأروع التصورات .

فالى جمال الطبيعة وحده يرجع الفضل في إيقاظ شاعرية الإنسان وأذواقها وتهذيبها ، وإلى جمالها وحده يرجع الفضل في تربية الذوق وتهذيبه ، ولا يخفى ما له من تأثير في الفنون وتقويمها ، والأخلاق ورقيها .

وأي كائن ذي روح لا يحب الجمال حبا صحبه منذ خلق حتى صار مظهرا قويا من مظاهر وجوده ، وحاجة ماسة من حاجات نفسه الضرورية لاسعادها وإيناسها في هذا العالم المملوء بالهموم والأحزان . تلمس ذلك الحب الغريزي في نشوة الثعبان ، واختيال الطاووس ، وصفير البلبل ونشاط البعير حين يحدوه الحادي بلحنة العذب وبهزة بصوته الرخيم :

والجمال من حيث ذاته يختلف باختلاف الميول والنزعات ، فكم قبيح عندك حسن عند غيرك ، وفي هذا دليل على أن الجمال غير محدود .

والغريزة حب الجمال أثر عظيم في تربية الطفل فهو الوسيلة الوحيدة لايقاظ انتباهه ورغبته ، وتشويقه إلى الدرس والعمل في دور إرادته فيه خامدة لم تزل بعد في دور التكوين ، كما أن العلم الأول في تهذيب وجدانه ، وتكوين ذوقه سليما يميل إلى كل فضيلة ، ويستهجن كل رذيلة .

وإذا كان جمال القنوات غير محدود والاختلاف الميول فيه ، فكل شيء في نظر الطفل جميل

جميل إلا ما يتفق مع غرائزه وميوله ـ ولقد يظهر ذلك واضحا جليا فى امتناع الطفل نفسه بتعذيب عصفوره المسكين ، وسروره يبكاء أخيه على شىء انتزعه منه واستأثر به دونه .

والشاب ينظر إلى الجمال نظرة طائشة فهو لا يعتبره فى المرأة إلا مظهرا خلابا ـ وإن كانت شوهاء النفس قبيحة الأخلاق ، وربما رجعت به غرائزه إلى سذاجة الطفولة فخدعته النظرة ، واستعبدته البسمة .

وما الجمال الظاهرى فى نظر الباحث المحص إلا مسحة من جمال النفس وأثر من آثاره ، فلكم من نفس جميلة ذات وجه دميم ملكت محدثها بأدبها وأخلاقها ، وأثرت فيه بجاذبيتها المعنوية تأثيرا قويا يخلبه ويستهويه .

والجمال العرضى أعنى جمال اللون : يشترك فى الميل إليه والاعجاب به كل ذي عينين ـ فإذا ما ارتقى الإنسان فى وجدانه وتفكيره ، أحس فى جمال الأشياء المعنوي ذلك الجمال الذى أفاضه بارئها عليها ، وأودعه فيها وحجبه إلا عن نظر قوى ثاقب ، وروح فلسفى رزين ، لا يروقه من البحر بريقه بل عظمته ولا من الليل نجومه بل هدوءه ، ولا من الأشياء ذواتها بل حقائقها ، لا يتبو عن ذوقه أى كائن شعورا بما أفاضه الله عليه من إبداع فى الخلق ، وحكمة فى التكوين .

وليس الناس سواء فى فهم الجمال المعنوى وتقديره التقدير اللائق به ، وهذا لا يرجع إلى تعليم أو جهل ، بل إلى الفطرة وصفائها ، والذوق وسلامته ولكم شاهدنا من شىء لم يؤثر فيه العقو ، وظالم مستبد لم يرده الاستعطاف على أن هاتين الصفتين من أجل مظاهر الجمال النفسى .

والباحث المتروى فى نشأة العلوم الفلسفية بصرف النظر عن الفنون يجد الجمال سببا مهما فى إيجادها ، إذ جمال الأدراك وجمال الموضوع والشعور العميق ، والوجدان الأسمى ، كل هذه بواعث تدفع بالفيلسوف إلى البحث والنظر ، والأمعان والتفكير . وأى جمال يعد جمال اجتلاء الحقائق ولذة يعد لذة إدراك علتها ومعلولاتها ، تلك اللذة التى تحمل الفيلسوف على أن يقنع بها من حياته ، ويزهد فيما سواها من لذائذ العيش وزخارف الحياة .

والأديان السماوية جمعاء جاءت مستندة على الجمال فى دعوتها الناس إليها ـ فما هو إلا الجنة وما بها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

والمرأة لا يهمها من الجمال إلا العرضى منه ، وهذا لقصر نظرها وضعفها الطبعى عن اكتناه

حقائق الأشياء وتكييفها فلا يروقها من الأشياء غيره ولا تعنى من نفسها بشيء سواه . ولقد مثلت هذه الظاهرة تمثيلا واضحا بجمالها وزينتها وإن كان الباعث عليها حبها فى امتلاك الرجل وإشباع غريزة حب الجمال من الجمال .

والمستطلع للثروى يرى الجمال العرضى كثيرا ما يكون مفسدة للمجتمع وخطرا على كيان الأخلاق ، فليس من سلاح غيره لمنهتكات النساء ، ولا أحبولة سواه .

ولو قدر المجتمع الجمال المعنوى تقديره اللائق به لتحققت أحلام الفارابى فى وجود مجتمع فاضل تسوسه مدنية فاضلة — ولكن ذلك هيهات ! فقد طبع الرجل على ألا يعشق فى المرأة إلا جسمها لا أدبها ، ويجرى وراء ذهبها لا أدبها حتى إذا ماقضى حاجة فى نفسه تركها متاعا فاسدا أو أمسكها على غير رغبة وهنا تفسد الأسرة فيفسد المجتمع .

وبعد : فليس الجمال إلا هبة من المواهب كالمال والذكاء وغيرها — تلك المواهب التى تمدح وتذم بحسب استعمالها . ولو أحب الرجل بعقله وتجملت المرأة بجمال نفسها وأدبها ، ونظر الناس إلى الجمال النفسى نظرة تقدير واعتبار ، لرأيت مجتمعا غير هذا المجتمع وحياة غير هذه الحياة .

سيد سيد رفاعى
مدرس بمدرسة كفر الباسرة الابتدائية

## (شكر)

تفضل حضرة الأستاذ أحمد محمد مراد فأهدانا كتابه « زهرة الربيع فى مدح النبى الشفيع » وتكرم حضرة الأستاذ حامد الشيال فأهدانا كتابه «المرأة فى الإسلام»

وتكرم حضرتا الأستاذين مصطفى أحمد أبو هدله ومحمود على العطار بأهدائنا كتابيهما رواية الشفاء والنعيم بين الزواج والعزوبة وأهدانا حضرة السيد محمد حواس بكتابه « ديوان حواس » وأهدانا الأستاذ محمد السيد الطحان كتابه « خطرات يانع » والأستاذ محمد كامل حسه كتابه « صحائف مطوية فى تاريخ بلاد النوبة » . وأهدانا طرفا فى المحفوظات والأناشيد حضرة الأستاذ حسن محمد البغدادى .

وقد تصفحنا هذه الكتب فألفيناها قيمة فى معناها ومبناها ، فلحضرات مؤلفيها الأجلاء الحمد الوافر والشكر والثناء .